د. خيرية قاسمية

نشاطات صندوق استكشاف فلسطين
١٨٦٥ - ١٩١٥

مقدّمة

لفلسطين أهمية فريدة في العالم ، بالاضافة الى مكانتها الدينية وموقعها الهام كجسر بين اسيا وافريقيا ، تلاقت على ارضها حضارات عديدة تركت اثارها في بقايا قائمة او مدفونة تحت الارض ، وتناثرت بعض اخبارها في وثائق مكتوبة من كتب العهد القديم ، وأخبار الرحالة والكتّاب والحجّاج سجّلوا ملاحظاتهم الوصفية ومذكّراتهم . ورغم ان هذه الكتابات كانت تفتقر الى روح النقد ووسائل البحث العلمي ، الاّ انها القت ضوءا على احوال البلاد الجغرافية وطبائع سكانها والمواقع الاثرية فيها . وحتى مطلع القرن التاسع عشر ، لم يحدث أي تقدم في الكشف عن الوثائق المتعلّقة بتاريخ فلسطين ، او تفسير النقوش والكتابات ، او فهم الخط العام لتطور الحضارات ، او دراسة الحقائق العلمية الجغرافية ، او التنقيب داخل التلال المتراكمة التي تكمن تحتها المدن والقرى القديمة [١] .

ومنذ بداية العشرينات اصبحت فلسطين حقلا لاهتمام خاص من الدول الاوروبية ، حيث تدفقت اليها الارساليات الاجنبية ، وفتحت فيها المدارس ، وانشئت المطابع ، وبدأ التعرّف على احوال فلسطين الجغرافية وطبوغرافيتها وجمع المعلومات عن اماكنها المقدسة وآثارها . ذلك لأنها احتلت مكانا بارزا في المنافسات الدولية بسبب موقعها الجغرافي ،والتقت عندها مصالح معظم الدول الاوروبية المتداخلة ، وكان الاهتمام الديني جانبا فقط من التطلّعات السياسية والتجارية للدول الاوروبية في شرقي المتوسط ، وبدت فلسطين كما كانت دوما ، صلة الوصل بين اوروبا وثروات الهند والشرق الاقصى ، وأصبحت القدس مركزا لنشاطات القناصل الاوروبيين تماما كما كانت الآستانة مركزا لنشاط السفراء [٢] .

بدايات الاستكشاف في فلسطين

كان الانجليز اسبق من غيرهم في مجال التعرّف على فلسطين ، لأن بريطانيا كان لا يمكنها ان تسمح لأية دولة أخرى بتهديد الطريق الرئيسية للمواصلات بين بلادها وبين ممتلكاتها